- الفصل الأول :

ثمانية عشر يومًا أسقطت نظام مبارك

▪ (الثلاثاء) ٢٥ يناير ٢٠١١

لم يكن أكثر المتفائلين يتوقع أن يتجاوز عدد المتظاهرين من الشباب في ميدان التحرير الألف، ولم أكن بشكل شخصي أتوقع أنني سأظل في المنزل إلى الساعة الرابعة أتابع الأخبار عبر القنوات الفضائية العربية التي اهتمت يومها بالأحداث التي وقعت في لبنان والتظاهرات التي دعا إليها أنصار تيار المستقبل بزعامة سعد الحريري احتجاجًا على حل الحكومة والإتيان بنجيب ميقاتي رئيسًا جديدًا للحكومة هناك ومن ثم ظهور الحريري مرة أخرى يدعو إلى وقف التظاهر والاحتجاج انتظارًا للمشاورات، أقول هذا لأنه حينها قفزت إلى رأسي فكرة عن مقدرة هذا الشاب الوسيم على تحريك آلاف وهي الفكرة التي انتهت تقريبًا من أدبياتنا السياسية والفكرية في مصر.

القنوات الفضائية العربية والمصرية تقريبًا خذلتني في متابعة ما يجري بميدان التحرير؛ اللهم إلا بعض النشطاء على الفيس بوك الذين كانوا يضعون مشاهداتهم، وبعض الاتصالات الهاتفية التي تأتيني من هناك لإطلاعي على الوضع كاملاً، لكنني اعتقدت أن ما أفعله غير كافٍ للوقوف على حجم التظاهرة أو مطالبها أو القمع الذي تلقاه التظاهرة من الجانب الأمني.

وحين بدأ الاكتئاب والقلق يدبا في جسدي قررت النزول متوجهًا إلى ميدان التحرير.

كانت حركة المرور طبيعية بالكاد، لكن اسم ميدان التحرير بدا أكثر إزعاجًا لسائقي التاكسي، فأخذت الطريق سيرًا على قدمي؛ خصوصًا أن الميدان قريب من منزلي، كانت الخامسة تقريبًا، لم تنقطع الاتصالات للتعرف على الوضع، مررت بميدان طلعت حرب وجدته مكتظًا بسيارات الأمن المركزي وجنوده، كذلك شارع قصر النيل ومن قبله ميدان عابدين وشوارعه الجانبية، أسطول كبير من جنود الأمن المركزي يتبادلون القفشات التي لا أفهمها لطبيعة لهجتهم الريفية، أما الضباط فاكتفى البعض بالحديث في التليفون المحمول، والبعض الآخر بقراءة الصحف.

كثر الحديث عند اقترابي من الميدان عن محاولات عديدة لفض التظاهرة سواء بالقنابل المسيلة للدموع أو بخراطيم المياه أو بالهراوات، كما كثر الحديث عن محاولات بعض جنود الأمن المركزي منع متظاهرين جدد من الدخول، لكن لم يحدث ذلك فدخولي ميدان التحرير كان أشبه بالعادي، نعم كان جنود الأمن المركزي مصطفين في مداخل الميدان لكنهم لم يشكلوا أي إعاقة لي وللكثير من المنضمين، ربما كانت الإعاقة هي انقطاع شبكات المحمول عن العمل وعزلنا تقريبًا عن العالم الخارجي.

مع دخولي الميدان كانت الوجوه مألوفة لي إلى حد كبير، صافحت الكثير من أصدقائي الذين لم أرهم منذ فترة، حتى أن أحدهم طلب مني أن ألتقط له صورة للذكرى، كان الهدوء يخيم على الوضع الأمني وكان المتظاهرون يهتفون بسقوط رموز النظام ومن كانوا سببًا في تزوير انتخابات مجلس الشعب التي أجريت أواخر العام الماضي، والبعض كان يردد هتافات معادية للرئيس نفسه باعتباره سببًا فيما يحدث من غلاء وبطالة وبلطجة وقمع، إلا أن كل هذا تبدل فجأة، فأخذت أصوات القنابل تدوي في الميدان، عشرات من القنابل المسيلة للدموع تهبط على رؤوسنا وتفرقنا ولكن سرعان ما تتم العودة مرة أخرى، حدثت اشتباكات عديدة بين بعض المتظاهرين وبين رجال الأمن، شاهدت بعيني كثيرًا من الجرحي وكثيرًا جدًا من الذين تم اعتقالهم في ساعات النهار وأفرج عنهم؛ ومن بينهم المخرج عمرو سلامة الذي رأيته جالسًا على الرصيف وقد ظهرت على وجهه وملابسه آثار الضرب، وتحدث البعض عن آخرين لقوا نفس المصير.

هدأ الوضع في الميدان مرة أخرى بحلول التاسعة مساء، وكان البعض يخشى من هجوم أمني جديد، كما أن البعض؛ وخصوصًا من شباب ٦ إبريل وأعضاء صفحة "كلنا خالد سعيد" على الفيس بوك اتفقوا على الاعتصام مجددًا في اليوم الذي يليه.

واستمرت الأحاديث والمعلومات، وبحلول العاشرة بدأت علب المياه الغازية تتدفق وصناديق المياه وبعض المخبوزات والبقسماط، سألت عن مصدرها أكد لي البعض أنه بعض الشباب المتحمس المتطوع، وأكد لي البعض الآخر أنه رجل الأعمال المهندس ممدوح حمزة، وقال آخرون إنه نجيب ساويرس، لكنني أكاد أجزم أنه كل هؤلاء، فهو سلوك جمعي يفعله المصريون وقت الشدائد.

استمر الهدوء ومعه استمرت القفشات هنا وهناك، حتى بعد توارد أنباء عن مطالب قوى المعارضة السياسية في البيان الذي ألقاه د.السيد البدوي رئيس حزب الوفد، وتصاعدت هتافات:

"حسني مبارك: باطل .. أمن الدولة: باطل .. حبيب العادلي: باطل .. أحمد عز: باطل .. جمال مبارك: باطل".

ودخل عليها هتاف جديد سمعته في التظاهرات التونسية مرارًا وهو "الشعب يريد إسقاط النظام".

كان ذلك تقريبًا في الحادية عشرة ليلاً، وظهرت دعوات للمبيت في الميدان وهو ما رفضتُه حيث توجهت للبعض ومنهم الأستاذ محمد عبد القدوس ورئيس حزب الغد أيمن نور لأننا سنصبح وقتها عرضة للاعتقال أو للاشتباك مع رجال الأمن المركزي بهراواتهم وخراطيمهم وقنابلهم، ولم أعرف وقتها لماذا شعرت برهبة على الرغم من أنني واجهت العديد من المواقف الصعبة مع رجال الأمن، لكن ما كان يحدث أمامي من إصرار غريب على المبيت هو ما أقلقني يومها.

وجاءت ساعة الحسم تقريبًا بعد الثانية عشرة بقليل، سيل من القنابل وبلا هوادة، خراطيم المياه، ضرب بالهراوات، اقتحام بالسيارات المصفحة، كان هناك إصرار أيضًا من رجال الشرطة على إخلاء الميدان تمامًا، استغرق هذا الوضع غير الآمن بالمرة حوالي ساعتين، اعتقلت الشرطة العديد من الشباب، وأصيب آخرون ونجحت الشرطة بالفعل في فض الاعتصام رغمًا عن محاولات البعض للتجمع مرة أخرى في الشوارع الجانبية الضيقة للميدان، كما أن البعض توجه للاعتصام في ميدان طلعت حرب ولكن الأعداد أصبحت أقل بكثير مع خروجنا من الميدان، تقريبًا كان الجميع يتحدثون في الموبايل لطمأنة ذويهم بعد هذا الانقطاع الطويل عن التواصل هاتفيًا في الميدان.

وبحلول الثانية والنصف كان الوضع قد هدأ تمامًا في منطقة وسط المدينة.

▪ (الأربعاء) ٢٦ يناير ٢٠١١

استمرت الأخبار عن محاولات للتظاهر في ميدان التحرير، لكنها في العادة ما كانت تنتهي بفعل شدة وقمع رجال الأمن، كان الاعتصام الأبرز عند نقابتي الصحفيين والمحامين، هذا ما شاهدته أثناء مروري من هناك، وكان الأمن قد لجأ إلى حيلته المعروفة وهي نشر بعض من رجاله بزي مدني، لكن وجوههم أصبحت مألوفة لنا، الغريب أن أجسامهم أصبحت مليئة عما ذي قبل وهو ما يعيق حركتهم أثناء الجري.

كانت الرابعة والنصف تقريبًا، سمعت أخبارًا عن عمليات سحل لبعض الصحفيين المعتصمين ومنهم الأستاذ محمد عبد القدوس، وكان الطريق من شارع رمسيس إلى ميدان التحرير حيث محاولات التجمع مليئًا بالغموض، فمظاهرة قوامها العشرات كانت تقابل بمنتهى العنف من جنود الأمن المركزي؛ سواء من ذوي البذات السوداء أو ذوي اللباس المدني، وكان العنف دائمًا ما يقابل أيضًا بعنف، فأشعل بعض الشباب إطارات السيارات وحدثت اشتباكات عنيفة في شارعي رمسيس والجلاء، إلا أنه عند وصولي إلى التحرير تم إيقافي من هؤلاء..

- الرجل: رايح فين؟

- أنا: مروَّح البيت.

- الرجل: بيتك فين؟

- أنا: الحلمية الجديدة.

- الرجل: وجاي التحرير من هنا ليه.. ما عندك العتبة تروَّح منها؟

- أنا: اللي حصل.

- الرجل: طب خليك واقف هنا.

جذبني إلى جانب الطريق، ثم جذبني آخر إلى شارع جانبي، فوجدت مثلي حوالي عشرة شباب يحيطهم بعض هؤلاء الشرطيين من ذوي اللباس المدني، شعرت وقتها أني رهن الاعتقال، ولكن لم أكن أدري ماذا أفعل، فكرت في الحديث إلى أحد من أقاربي، لكني خفت أن أتسبب لهم في قلق، شعور غريب في مصير لا أعرفه، استغرق هذا الوضع دقائق، لم ينقذنا إلا مظاهرة أو تجمع شبابي مكون من عشرات أيضًا خرج أصحابنا الذين كانوا يحتجزوننا لمواجهته فهربنا إلى ميدان عبد المنعم رياض جريًا.

خرجت إلى الكورنيش والوضع مازال ملتهبًا، سرت إلى "جاردن سيتي" ودخلت في شوارعها الجانبية إلى أن وصلت إلى شارع قصر العيني أمام مجلس الشورى، كان ميدان التحرير الملاصق لشارع القصر العيني خاليًا تقريبًا من المارة، السيارات كانت تسير بشكل عادي، حركة المرور كانت أسهل من المعتاد، ولكن سيارات

الأمن المركزي كانت متواجدة بكثافة ورجال الشرطة الآخرين كانوا أيضًا متواجدين بكثافة على كل مداخل الميدان.
على باب شارع التحرير أوقفني أحدهم وسألني نفس السؤال الذي سألني إياه زميله في شارع الجلاء "رايح فين؟" رددت نفس الإجابة "مروَّح البيت" وكأنه نسخة طبق الأصل من الحديث الماضي، إلا أن الرجل كان رحيمًا ولم يحتجزني وقال لي: "علي بيتكوا عِدِل".

كانت الأنباء المتواردة لدي أن الاعتصام قد بدأ في ميدان طلعت حرب، توجهت إلى هناك حوالي السادسة مساء أو ما يزيد بقليل، وكان التجمهر أقل، ولكن هتاف "الشعب يريد إسقاط النظام" كان يدوي في الميدان الصغير وبعض الشوارع الجانبية.
قابلت بعض أصدقائي في شارع مؤدي إلى ميدان طلعت حرب، وسمعت عن اعتقالات عديدة في صفوف الشباب وبعض النشطاء السياسيين والصحفيين، سمعت أيضًا عن إصابات خطيرة، سمعت عن حالات وفاة، لم أتأكد فكان الوقت ملائمًا للشائعات ولكن الحقيقة المؤكدة في هذا الوقت أن دخول ميدان طلعت حرب أصعب كثيرًا من الحصول على تأشيرة للولايات المتحدة الأمريكية.
المواجهات كانت كبيرة وعنيفة ولكن الأمر لم يستغرق طويلاً، ونجحت الشرطة بجناحيها الرسمي وغير الرسمي في فض الاعتصام تقريبًا بحلول العاشرة.

▪ (الخميس) ٢٧ يناير ٢٠١١

توجهت في حوالي التاسعة صباحًا إلى ميدان التحرير قادمًا من ميدان طلعت حرب، شاهدت بعيني الشرطة غير الرسمية تنتشر بكثافة في الميدانين وبخاصة في طلعت حرب، سمعت عن المواجهات التي كانت تحدث أمام نقابتي الصحفيين والمحامين، تلقيت اتصالاً من صديق معتصم أمام نقابة الصحفيين نقل لي الوضع كاملاً واختتم مهاتفته بجملة "لو الوضع استمر كده لغاية بالليل مش هيبقي في مصر صحفيين برة السجون" في إشارة واضحة لعمليات إلقاء القبض على الصحفيين هناك، وهي الاستغاثة التي بدأت تنتشر في الأوساط الصحفية والثقافية وفي أوساط المجموعات التي كانت تحاول التظاهر في وسط المدينة.

مرَّ اليوم سريعًا، توجهت إلى جريدة "القاهرة" في الزمالك، لم تنقطع الاتصالات بيني وبين أصدقائي إلى أن أبلغني أحدهم أن يوم غد الجمعة سيخرج الشعب كله عن بكرة أبيه بعد صلاة الجمعة للمطالبة برحيل النظام، خصوصًا مع توارد أنباء عن مظاهرات في الإسكندرية والسويس والإسماعيلية وبعض المدن الأخرى، وكانت الدعوة للجميع وليس لقوة معينة.

خرجت من الجريدة في الرابعة مارًا بميدان التحرير فالوضع مازال على حاله، بعض المتظاهرين يحاولون التجمع، والأمن يمنعهم ويوقف الكثيرين ويشحنهم في سيارات ميكروباص تذهب إلى أماكن بعيدة في الطريق الصحراوي أو في آخر شارع الهرم أو صحراء مدينة نصر؛ كما روي لي الكثير.

وحين وصلت إلى البيت تابعت الأحداث أمام شاشات الفضائيات، وعلمت أن البورصة المصرية أغلقت على خسائر فادحة اقتربت من عشرة مليارات دولار، شعرت حينها أن الأمر يبدو مزعجًا.

في الحادية عشرة ليلاً توجهت إلى التحرير مرة أخرى، لم يكن هناك جديد على الإطلاق؛ اللهم إلا أن الحالة الطبيعية بدأت تدب في شوارع القاهرة مع وجود أمني رسمي وغير رسمي، إلا أن الناس كلها كانت في حالة ترقب لما ستسفر عنه "جمعة الغضب" كما أسماها المتظاهرون.

▪ (الجمعة) ٢٨ يناير ٢٠١١

استيقظت مصر كلها على قطع كامل لخدمة الإنترنت والتليفونات المحمولة، وكانت خطبة الجمعة في مسجد السلطان حسن بمنطقة القلعة أشبه ببيان لضبط النفس، وكان التواجد الأمني في خارج المسجد كبيرًا وخصوصًا وأنني لم أشهده في مثل هذه المنطقة من قبل، وما إن انتهت الصلاة حتى خرج الجميع في هتاف واحد "الشعب يريد إسقاط النظام"، خرجت معهم، ولم تفلح محاولات الشرطة في قمع التظاهرة التي تجاوزت الآلاف بعد انضمام أهالي الحلمية الجديدة والدرب الأحمر، وكانت متجهة إلى ميدان التحرير إلا أنها فضت تقريبًا في مدخل شارع حسن الأكبر الذي يبعد عن قصر عابدين بأمتار.

رجع الحشد متوجهًا إلى كل أقسام الشرطة في منطقة الحلمية والخليفة وإلى مقار الحزب الوطني في السيدة زينب والسيدة عائشة، وهو الأمر الذي أوقع كثيرًا من الضحايا في عمليات اقتحام تلك الأماكن ومنهم الشهيد "محمد محروس" أخو صديق لي.

كانت المواجهات في الرابعة عصرًا دامية، الرصاص كان يُطلق في كل الاتجاهات وكذا الحجارة وهو ما أدي إلى إصابتي في الرأس والوجه، وجدت أن الأمر أصبح خطيرًا على حياتي فقررت الصعود

إلى منزل أحد أقربائي في منطقة المقطم التي هي بالتأكيد أهدأ حالاً، وجدتها كذلك بالفعل، ولكن لأنني في أعلى مكان بالقاهرة شاهدت بعيني الدخان الأسود يتصاعد في كل مكان وخصوصًا في منطقة التحرير ومنطقة الخليفة. المنطقة الهادئة لم تعد كذلك، فالمظاهرات بدأت تجوب الشوارع هناك وبدأت بعض عمليات السلب والنهب مع انسحاب قوات الشرطة من الشوارع وإحراق الأقسام المحيطة للمنطقة.

لم يكن في وسعي إلا الاحتماء في المنزل، لكني آثرت النزول حتى بعد إعلان حظر التجول في القاهرة والسويس والإسكندرية من الساعة السادسة مساءً حتى السابعة صباحًا من اليوم الذي يليه، ونزول عربات القوات المسلحة لحماية الممتلكات العامة.

توجهت إلى ميدان التحرير ولاحظت حالة الانفلات الشديد والفوضى الشديدة التي تعيشها المدينة، رأيت بعيني عمليات السلب والنهب لبنوك كثيرة وبعض المحلات التي كانت أبوابها سهلة الكسر، الوضع كان مخيفًا جدًا، وخصوصًا بعد إشعال الحرائق في أماكن عديدة بالقرب من المتحف المصري الذي وقف لحمايته مجموعة من الفنانين والمثقفين ومنهم المخرج خالد يوسف.

لاحظت أن كثيرًا من الناس التزموا بحظر التجول، ولكن بعد مرور ساعات لم يلتزم أحد بالقرار والكل خرج إلى الشوارع، ليحتفل بمشاهدة المدرعات والدبابات التي بدأت في الانتشار تدريجيًا، ربما

أغلب المشاركين في الأحداث لم يشاهدوا تلك الآليات في حياتهم وكان الهتاف وقتها "الجيش والشعب إيد واحدة".

في ميدان التحرير كانت عبوات القنابل المسيلة للدموع متناثرة في كل مكان، شاهدت بعيني قنبلة تقول البيانات المدونة عليها إنها مصنعة في الولايات المتحدة الأمريكية عام ٢٠٠٣، ومدة صلاحيتها ٥ سنوات، أي تنتهي عام ٢٠٠٨، وتحذر من استخدامها بعد هذه المدة، مما يعني أن الأمن استخدمها رغم علمه بانتهاء صلاحيتها، كما تحذر البيانات من قذفها على الشخص بشكل مباشر، وهو ما لم تلتزم به الشرطة التي هربت.

سمعنا أن محطات المترو تعرضت للنهب والسرقة شملت سرقة الإيرادات وأجهزة الكمبيوتر، وذلك عقب انسحاب شرطة النقل والمواصلات من تأمين المحطات، كما سمعنا أن حركة القطارات شبه متوقفة بسبب تعرض قضبان السكة الحديد للسرقة في مناطق متفرقة.

مع انقطاع الاتصال اعتمدت على عيني فقط في رصد الأحداث، ولكن الحالة الأمنية أجبرتني على العودة لمتابعة الأخبار عن طريق القنوات الفضائية والبعد تمامًا عن التليفزيون المصري الذي ساهم في ارتكاب جريمة في حق الشعب مؤيديه ومعارضيه؛ بعدم نقل الصورة كما رأيناها في الشارع.

بعد منتصف الليل وبالتحديد قبيل خطاب مبارك كنت في البيت، وعرفت عن طريق بعض زملائي الذين ذهبوا أيضًا إلى بيوتهم أن المتظاهرين من الشباب يحاولون منع الكثيرين من عمليات السلب والنهب التي استمرت حتى صباح اليوم التالي.

عرفت أيضا أن الجنرال الأمريكي جيمس كارترايت أكد أن رئيس أركان القوات المسلحة المصرية سامي عنان سيغادر إلى مصر في ضوء التطورات المتسارعة، بعدما كان يترأس وفدًا عسكريًا لإجراء محادثات في وزارة الدفاع الأمريكية البنتاجون كانت مقرر لها أن تستمر أسبوعًا آخرًا، كما أوضح المتحدث باسم البنتاجون "الكولونيل ديفيد لابان أن البعثة المصرية بكامل أعضائها البالغ وعددهم ٢٥ شخصًا جرى استدعاؤها من جانب الحكومة المصرية، وهو ما جعل البعض يعتقد أن سامي عنان سيأتي ومعه حل سحري للاحتجاجات في مصر حتى بعد إلقاء مبارك لخطابه الأول وإعلانه طلبه من حكومة أحمد نظيف الاستقالة، وهو بالطبع ما لم يلق قبولاً عند الثوار الذين اتسعت دائرة مطالبهم لتشمل رحيل مبارك نفسه.

▪ (السبت) ٢٩ يناير ٢٠١١

كان الانفلات الأمني غير طبيعي مع ورود أنباء عن خروج آلاف المسجونين إلى الشارع، حتى أني سمعت طلقات الرصاص بالقرب من مديرية أمن القاهرة صباحًا، حيث يوجد سجن الاستئناف، بينما دعا الجيش في بيان له المواطنين إلى التصدي للمخربين وحماية مصالح الأمة ومصالحهم، ودعا الجميع إلى الالتزام بقرار حظر التجول الذي تم تمديده ليبدأ من الرابعة عصراً حتى الثامنة من صباح اليوم التالي، في حين واصل آلاف المتظاهرين حشودهم في الشوارع سواء في القاهرة أو المحافظات معربين عن تصميمهم على البقاء في الشوارع، ومواصلة الاحتجاج حتى يسقط نظام مبارك.

مررت بميدان التحرير، وجدت الوجوه قد تبدلت قليلاً، ولكن الأعداد بالطبع متزايدة لعدم وجود الشرطة، ونظم المتظاهرون في الميدان جنازة لشهيد سقط في ظل اشتباكات بين المتظاهرين وقوات الأمن أمام وزارة الداخلية، استخدمت فيها قوات الأمن الرصاص الحي.
دخلت الميكروفونات وأصبح المتحدثون فيها مختلفين عمن شاهدناهم من ذي قبل، كان لخالد الصاوي وأحمد عيد وعمرو واكد وخالد أبو النجا حضور جيد، التف حولهم الناس، وهتفوا وراءهم.

اعتبر الثوار تعيين مبارك نائبًا له وهو اللواء عمر سليمان رئيس جهاز المخابرات العامة السابق وتكليف وزير الطيران المدني السابق أحمد شفيق بتشكيل حكومة جديدة نوع من تضييع الوقت لأن المطلب الأول واضح وهو تنحي مبارك عن الحكم. كان الشارع يقترب وقتها إلى الراديكالية السياسية، لا ينفعه حلول مثل هذه، حلول تقليدية. أيقنت وقتها أن الشارع لن يرض إلا بالحل الجذري.
ومع الليل حضر إلى الميدان د. محمد البرادعي رئيس الجبهة الوطنية للتغيير ومعه د.أسامة الغزالي حرب ومجموعة من مؤسسي حزب الجبهة والكاتب علاء الأسواني وإبراهيم أصلان وغيرهم، لاحظت أن الميدان بدأ ينقسم إلى تكتلات، لكني وقتها لم أحدد الاتجاهات.

امتدت ساعات حظر التجول لتبدأ من الثالثة عصرًا ولا أحد ملتزم بها، لا أدري لماذا؟ وانتشرت ما يسمى باللجان الشعبية في الأحياء الراقية وغير الراقية، خرج شباب تلك المناطق للدفاع عنها بالسنج والمطاوي والشوم، كثرت الشائعات عن مجيء مجموعات مسلحة إلى المناطق ومهاجمة المنازل ولكن لم يحدث هذا؛ أمامي على الأقل؛ حتى وإن سمعت ذلك من بعض الأشخاص في مناطق متفرقة والحقيقة أنه لا يوجد شاهد عيان واحد قال لي "حدث لي كذا وكذا".

وفي إطار محاولات التهدئة أعلن صفوت الشريف الأمين العام السابق للحزب الوطني أن أحمد عز أمين تنظيم الحزب الوطني أو

مهندس عملية تحرير مجلس الشعب من أعضاء المعارضة والإخوان المسلمين قد قدم استقالته من الحزب، كما نفى الشريف في تصريحاته التي تداولها الجميع في ميدان التحرير سفره خارج البلاد كما أنه قال "الذين أحرقوا الحزب مجموعة من البلطجية وليس شباب مصر وما جرى لمقر الحزب حدث لأماكن عامة أخرى بل وأماكن خاصة بسبب عمليات النهب والسلب".

تحدث جميع من في ميدان التحرير عن دعوة الرئيس الأمريكي باراك أوباما الرئيس السابق حسنى مبارك إلى اتخاذ خطوات ملموسة في سبيل الإصلاح السياسي والامتناع عن استخدام العنف ضد المتظاهرين المعارضين لنظامه، حيث قال أوباما بعد إجرائه محادثة هاتفية مع مبارك استمرت ٣٠ دقيقة "أريد توجيه دعوة واضحة إلى السلطات المصرية بالامتناع عن استخدام العنف ضد المتظاهرين المسالمين.. الشعب المصري لديه حقوق يتشارك بها الجميع، وهذا يشمل حق التجمع سلميًا والحق بحرية التعبير وإمكانية تقرير المصير، وهذا يندرج ضمن حقوق الإنسان". وأشار أوباما إلى أنه طلب من الرئيس المصري الإيفاء بالتعهدات التي قطعها في خطابه الأول للمصريين. أما وزيرة الخارجية الأمريكية هيلارى كلينتون فانتقدت تعامل الحكومة المصرية مع المتظاهرين، ودعت إلى كبح جماح قوات الأمن والبدء في تطبيق الإصلاحات.

سهرت حتى صباح اليوم التالي، كانت الإمدادات من أهالي المنطقة رائعة؛ أكواب من الشاي وقطع الكيك، وتطور الأمر فجر هذا اليوم إلى صينية كبيرة بها "كبسة" وأخرى بها "مكرونة بالباشميل".

ومع ساعات الصبح الأولي صعد الجميع للنوم في منازلهم.

▪ (الأحد) ٣٠ يناير ٢٠١١

لم أستطع النوم تلك الليلة؛ خصوصًا مع صوت طلقات النيران التي كانت تدوي بالقرب من مديرية الأمن.. توجهت إلى ميدان التحرير نهارًا، وكانت حركة المرور صعبة وغير منضبطة بسبب الغياب الأمني، بعض الشباب كان يحل محل رجال المرور، ولكن الفوضى كانت عامة فالطرق أصبحت مباحة للذاهب والآتي، كثرت الحوادث، رأيت بالقرب من المعبد اليهودي سيارة تاكسي اقتحمت أحد المحلات بشكل غريب.

استطعت في هذا اليوم تمييز بعض الوجوه التابعة لجماعة الإخوان المسلمين، مع انضمام شيوخ من الأزهر وبعض القضاة، كثرت الوجوه الأجنبية من مرتادي منطقة وسط البلد من الصحفيين والمراسلين والنشطاء في مجال حقوق الإنسان، وجوه نراها كثيرًا على مقاهي زهرة البستان والحرية وستراند وغيرها، الغريب أنهم كانوا يحملون لافتات تشير أيضًا إلى نفس المطالب التي يرفعها الثوار. فجأة حدث هرج ومرج، قال لي أحدهم إن ضابطًا من قوات الجيش برتبة نقيب يقود التظاهر بالقرب من ميدان عبد المنعم رياض، توجهت إلى هناك وجدت الضابط الذي عرفت بعد ذلك أن اسمه "إيهاب محمد علي" يقف أسفل تمثال الشهيد عبد المنعم رياض يهتف "الجيش والشعب إيد واحدة" ثم يكبر "الله أكبر"،

التهب الموقف، وشاهدت كثيرًا من الناس يبكون تأثرًا بالمشهد.
بدأت اللافتات الكبرى تنتشر في أرجاء ميدان التحرير، العدد كان كبيرًا بالمقارنة بالأيام السابقة. وعلى مسافة ١٠٠ متر من الميدان أقام مجموعة من الأطباء مستشفى بالجهود الذاتية داخل مسجد صغير، يستقبل المصابين وتم بالفعل إسعاف العشرات، حيث رقد مصابون والدماء تنزف منهم، وأدوات طبية في جميع أنحاء المكان، وأطباء لا يزيد عددهم على ١٠ يتولون علاج نحو ١٠٠ شخص. وقال لي أحد الأطباء الذي تولى عملية الإسعافات إنه فوجئ يوم الجمعة بوصول أعداد من المصابين بإغماءات، وهو متواجد بالمسجد، وأمام مسؤوليته ووفاء للقسم الذي تلاه فور تخرجه قرر تولى علاجهم وإفاقتهم، ومع دخول اليوم بدأ في تلقى مصابين بإصابات خطيرة وصلت إلى الإصابة بالرصاص الحي في أنحاء متفرقة بالجسم، وأن بعض الأطباء تدخلوا لمساندته، إضافة إلى اتصاله بصديقين له، للمشاركة في إجراء الإسعافات للمصابين.
وشهد الطبيب الذي كان يدعى وليد ولا أعرف اسم والده أن ١٠ متوفين لفظوا أنفاسهم الأخيرة داخل المسجد، وجميعهم مصابون بالرصاص الحي، والإصابات تركزت في الصدر والرأس، كما قال طبيب آخر "سنتولى علاج المصابين لنشر الأمان بين المواطنين وتعريفهم بأن هناك من سيعالجهم إذا أصيبوا" في رسالة لمطالبتهم بالاستمرار في التظاهر حتى تنحي الرئيس. ووقف بعض المواطنين

خارج المسجد يتولون نقل المصابين إلى المسجد، إضافة إلى نقل الحالات الحرجة إلى سيارات الإسعاف، التي تقف خلف مجمع التحرير، وذلك لنقلها إلى المستشفيات، كما تولى بعض الشباب حماية المسجد خوفًا من دخول أي من المخربين.

وصلتنا أنباء عن هروب بعض السجناء المشهورين مثل هشام طلعت مصطفى رجل الأعمال الشهير والذي اتهم بقتل اللبنانية سوزان تميم، وهو ما تأكدنا من عدم صحته فيما بعد، كما وصلتني أنباء مؤكدة عن هروب بعض السجناء السياسيين من الخلية المتهمة بمحاولة تخريب منشآت حيوية لصالح حزب الله اللبناني وحركة حماس الفلسطينية وجماعة الإخوان المسلمين الذي أكدت بعض القيادات بها هروب بعض أعضائها ووصفته بالتحرر، وقالت الجماعة في تصريحات تليفزيونية إن أعضاءها لم يهربوا من السجون، لكنهم فوجئوا بأشخاص يحررون بعضهم بعد كسر الأبواب وإجبارهم على الخروج من العنابر. ومن أبرز القيادات التي قيل أنها هربت من السجون: الدكتور محمد مرسى والدكتور عصام العريان وسعد الكتاتنى ومحمد محيى وسعد الحسيني ومصطفى الغنيمى ومحمود أبو زيد وصبحي صالح وحسن إبراهيم وسيد نزيلى وحمدي حسين وأحمد دياب. كما هرب من سجن أبو زعبل القيادي في حركة حماس رمزي الوشاحي الذي ظهر على التليفزيون الفلسطيني وأكد وجوده في غزة.

▪ (الاثنين) ٣١ يناير ٢٠١١

حرصت في بداية هذا اليوم أن أتجول في الأسواق، بعض السلع الغذائية ارتفعت أسعارها، كثرت "طوابير العيش"، الوضع لم يكن مطمئنًا بالمرة. التقيت بأحد أصدقائي وهو متخصص في اللجان الشعبية قال لي إنه نزل أيضًا ليراقب جشع البائعين وأقسم لي أن الأسعار ستهبط مرة أخرى لأن اللجان ستراقب الأمر بداية من يوم الثلاثاء.

في طريقي إلى ميدان التحرير سمعت أخبارًا عن تشكيل الحكومة وضمت تشكيلة شفيق لحكومته أربعة عشر وزيرًا جديدًا وخمسة عشر وزيرًا قديما أدّوا اليمين الدستورية أمام مبارك الذي أظهره التليفزيون في حالة تردي صحي، حيث تم تعيين المشير محمد حسين طنطاوي وزيرًا للدفاع، وهو المنصب الذي كان يشغله في الحكومة السابقة، كما احتفظ وزير الخارجية أحمد أبو الغيط بمنصبه، بينما جرى تعيين محمود وجدي وزيرا للداخلية خلفًا لحبيب العادلي، كما عُين سمير رضوان وزيرًا للمالية خلفًا ليوسف بطرس غالي، واحتفظ ممدوح مرعي بوزارة العدل، كما احتفظ أنس الفقي بمنصبه وزيرًا للإعلام. ولوحظ غياب الوزراء المقربين من جمال مبارك وأغلبهم من رجال الأعمال البارزين كوزراء التجارة والزراعة والإسكان والصحة والسياحة.

ولم تضم التشكيلة الجديدة كل من وزير للتربية والتعليم ووزير للسياحة، فانضم إلى الحكومة الجديدة كل من يحيى عبد المجيد مصطفى وزير دولة لشؤون مجلس الشورى، وعبد الله الحسيني أحمد هلال وزيرًا للأوقاف، وزاهي حواس وزيرًا للآثار، وسميحة إبراهيم وزيرة للتجارة والصناعة، وإبراهيم مناع وزيرًا للطيران المدني، وجابر عصفور وزيرًا للثقافة، وأحمد سامح حسين فريد وزيرًا للصحة، وأيمن فريد أبو حديد وزيرًا للزراعة واستصلاح الأراضي، ومحسن النعماني محمد حافظ وزير دولة للتنمية المحلية، وعاطف مصطفى وزيرًا للنقل، وفتحي البرادعي وزير الإسكان والمرافق والتنمية العمرانية، وحسين العطيفي وزير الموارد المائية والري، كما احتفظ سامح فهمي بحقيبة وزير البترول، وفايزة أبو النجا وزيرة للتعاون الدولي، وحسن يونس بوزارة الكهرباء، وماجد جورج غطاس وزير الدولة لشؤون البيئة، وطارق كامل وزير للاتصالات، وعلي المصليحي وزيرًا للتضامن الاجتماعي، وهاني هلال وزير التعليم العالي ووزير الدولة لشؤون البحث العلمي، وعائشة عبد الهادي وزيرة للقوى العاملة والهجرة، ومشيرة خطاب وزيرة الدولة للأسرة والسكان، ومفيد شهاب وزير دولة للشؤون القانونية وشؤون مجلس الشعب، وسيد مشعل وزير دولة للإنتاج الحربي.

بعد إعلان التشكيل الوزاري بدا الأمر عاديًا؛ في الشارع لا يبالي أحد بأي أخبار، أما في التحرير فكانت الدعوات لتظاهرة مليونية في اليوم التالي، تأكيدًا على مطلب الاعتصام الأساسي وهو رحيل مبارك ورحيل النظام كله.

التظاهرة كانت هذا اليوم كبيرة أمام مطعم كنتاكي في الميدان ويقودها الفنان خالد الصاوي والفنان أحمد عيد، سمعت أخبارًا عن وجود المشير حسين طنطاوي في مبنى التليفزيون الواقع على كورنيش النيل والذي يبعد أقل من كيلو متر من ميدان التحرير، هاتفني أحد أصدقائي من الولايات المتحدة الأمريكية وقال لي إن لديه معلومات مؤكدة أن وزير الدفاع سيلقي بيانًا من مبنى التليفزيون يؤكد فيه تنحي الرئيس عن منصبه وتولي الجيش زمام الأمر، وهو بالطبع ما لم يحدث حيث اكتفى المشير بمصافحة جنوده وترك المكان، هكذا أظهرت التليفزيونات وهكذا قال لي شاهد العيان إضافة إلى وقوفه لأكثر من خمس دقائق مع مواطنين عاديين كانوا يسيرون على الكورنيش أبلغوه تقديرهم للجيش المصري الذي دافع عن التراب المصري في ١٩٧٣، وقال لي أيضًا شاهد العيان إن المارة تجاهلوا الوزير أنس الفقي الذي كان يتجول مع المشير ولم أتأكد من صحة معلوماته لكنه كان مصدري الوحيد هناك.

في الثانية والنصف وأثناء وقوفي مع الكاتب الصحفي إبراهيم عيسي في الميدان مرَّت فوقنا طائرتان من طراز إف ١٦، كانت

لحظات رعب لمعظم من كانوا في الميدان، الصوت لم يكن محتملاً للكثير، ثم تحول الأمر بعد مرور الطائرات لأكثر من مرة إلى شيء عادي، واستمر الشباب في هتافاتهم، واستمر آخرون في توزيع علب الكشري، والآخرون في تنظيف أرض الميدان.

كانت نقطة الخطورة الحقيقية عند مبنى وزارة الداخلية حيث سمع كل من في الميدان أصوات طلقات تدوي في الرابعة تقريبًا، سمعنا أنها محاولات لاقتحام المبنى من قبل المتظاهرين واجهتها قوى الشرطة الموجودة بالداخل بوابل من الرصاص، سمعنا عن حالات وفاة، استغاث العديد بضباط الجيش، الغريب هي الاستجابة السريعة لهم حيث توجهت دبابتان وأربع مدرعات إلى مبنى وزارة الداخلية وسط تهليل المتظاهرين.

في الميدان بدأت تتشكل الملامح الإنسانية للشعب المصري، فوقفتُ إلى جوار سيدة قطعت مئات الكيلو مترات لتأتى من بلدتها في أسيوط وتشارك في اعتصام ميدان التحرير، جلست السيدة وسط المتظاهرين تحكي عن قسوة المعيشة وظروف الحياة الصعبة التي دفعت بها للتظاهر، تركت أسرتها وأقنعت كل من فيها بضرورة المشاركة في التغيير، وكان هناك سيدات أخريات تجاوزن الستين عامًا افترشن عباءاتهن نمن عليها فوق الحشائش بحدائق الميدان حيث أكدت إحداهن أنها وابنها الوحيد يعانيان الظلم والفساد وتشعر بأنها لا تجد حياة كريمة في ظل نظام لم يهتم سوى برجال الأعمال.

ووسط عشرات المعتصمات في الميدان تقف سيدة أخرى ماسكة "مقشة" وتحاول تنظيف ما أرض الميدان فتتحرك يمينًا ويسارًا بـ "مقشتها" وبين حين وآخر تطلق هتافات تنادى بإسقاط النظام، بالتأكيد هي لا تنتمي لأي تيار سياسي ولم تكن تفكر يومًا بأن تخرج للتظاهر وتفعل ما تفعله وكانت تقول "أنا سبت ابني مع والدتي في بنها وجئت لأطلب بالتغيير".

كما استغل عدد من الباعة الجائلين وجود أعداد ضخمة من المواطنين وعملوا على توفير الغذاء والمشروبات لهم وعدد من احتياجاتهم المعيشية، وكان لافتاً أن أبرزها كان الكشري والشاي، واستخدم عدد من الباعة الدراجات لحمل بضائعهم، وبيعها للمتظاهرين بزيادة بسيطة تصل إلى حوالي نصف جنيه أو جنيه، وكان لافتاً بيع بضائعهم بشكل فوري لحظة وصولهم للميدان، وأكد بعضهم أنه يقدم خدمة وطنية للمتظاهرين فتلبية احتياجاتهم تعتبر إفادة لهم حتى لا يغادروا المكان لشراء احتياجاتهم، مبررين الزيادة في أسعار البضائع، بأنها جزء من تعبهم فهو يعاني كثيرًا ليأتي بالبضائع من تجار الجملة، كما أن معظم التجار استغلوا الأحداث ورفعوا الأسعار.

أما عن ردود الأفعال الدولية التي كانت حديث غالبية من كان في الميدان هو رفض المتحدث باسم البيت الأبيض روبرت جيبس مطالبة مبارك بالتنحي، بعد أن دعت وزيرة الخارجية الأمريكية إلى

انتقال منظم للديمقراطية، وكانت إشارة إلى تبدل الموقف الأمريكي الحازم في بدايته، فقال جيبس في مؤتمره الصحفي مساءً: "نحن مسرورون بضبط النفس الذي يجرى ونشجع ذلك"، وأضاف أن البيت الأبيض يأمل أن يسود الهدوء وعدم العنف مرة أخرى، مشيرًا إلى أن الولايات المتحدة تجري اتصالات مستمرة مع الحكومة المصرية حول الاحتجاجات المناهضة للنظام المصري.

وفى الوقت نفسه، أعلنت الخارجية الأمريكية أن السفير الأمريكي الأسبق فرانك فيسنر موجود الآن في القاهرة، وسيلتقي مع مبارك قبل أن يرفع تقريرًا إلى إدارة الرئيس باراك أوباما عن تقييمه للوضع، وقال المتحدث باسم الخارجية الأمريكية فيليب كراولى إن فيسنر يعرف بعض الشخصيات الرئيسية في الحكومة المصرية، ونتطلع إلى معرفة رأيه فيما يحدث.

وكان الاتحاد الأوروبي قد دعا أيضًا إلى إصلاحات ديمقراطية في مصر، وطالب وزراء خارجية الاتحاد الأوروبي حسنى مبارك بالبدء في انتقال منظم إلى الديمقراطية، ودعا وزراء دول الاتحاد الـ٢٧ إلى إتباع نهج تدريجي خطوة بخطوة يبدأ بتشكيل حكومة مؤقتة عريضة ويتوج بانتخابات ديمقراطية.

ظل الحال كما هو عليه إلى المساء وفي طريقي للعودة إلى المنزل ومروري بجانب مديرية الأمن كان الوضع لا يزال عليه، وابل من الرصاص هنا وهناك منعًا لهروب المسجونين من سجن الاستئناف

الملاصق للمديرية. مرّ الجميع من تلك المنطقة مهرولاً ومنحنيًا هربًا من طلقات الرصاص، فاعتقد أنها كانت اللحظات الأصعب على الإطلاق.

▪ (الثلاثاء) ١ فبراير ٢٠١١

إنها يوم المليونية الأولى.. قلت في نفسي: إذا نجحت فإن الاعتصام سيصبح ثورة، ولكني استيقظت صباحًا على جرس تليفوني المحمول، وكان شخص يستغيث، لا طعام عنده ولا يستطيع النزول لشراء حاجياته، أعلم أنه يوم تظاهرة المليون، لكن واجبي الإنساني كان يحتم على المساعدة، قبل ذهابي إليه تفقدت السوق المجاور لمنزلي شعرت بالفعل أن الأسعار بدأت تتراجع تدريجيًا.

استقللت تاكسي متوجهًا إلى منطقة العجوزة، بالطبع كانت الشوارع مكتظة بالناس، لا تواجد أمني على الرغم من ورود أخبار عن نزول قوات الشرطة إلى الشارع في اليوم الذي سبقه، يستغرق المشوار من بيتي إلى العجوزة ربع الساعة تقريبًا، لكن الطرق كانت مقطوعة فاستغرقت ساعتين.

توجهت إلى ميدان التحرير من كوبري ٦ أكتوبر سيرًا، شعرت أن اليوم غير عادي، السيارات تتوقف على جانبي الكوبري والأعلام تزينها، أغنية "يا حبيبتي يا مصر" لشادية في كل سيارة، شباب وفتيات يرسمون الأعلام على وجوههم والكثير منهم يحملون الرايات، كرنفال حقيقي توقعته في الميدان.

عند هبوطي من "مَنزَل" عبد المنعم رياض كانت الطوابير كبيرة جدًا، وكانت هناك أكثر من نقطة للتفتيش والتأكد من البطاقة الشخصية، تلك النقط أقامتها اللجان الشعبية إضافة إلى القوات المسلحة، الكل كان متعاونًا لأقصى درجة.

استغرق دخولي الميدان حوالي ربع ساعة، الحشود كانت هائلة، لم أنتظر كثيرًا، لم أكن أستطيع حتى التجول، شعرت بضيق شديد وبفرحة أشد لتجمع كل هؤلاء: المسيحي والمسلم، الكبير والصغير وربما الرضيع، الغني والفقير، العلماني والإخواني، ربما كان التجمع الأكبر الذي أشاهده في حياتي. امتلأ الميدان عن بكرة أبيه وامتلأت معظم الشوارع المؤدية للميدان، انسحبت الدبابات والمدرعات لمنتصف شوارع قصر النيل ومحمد محمود والتحرير وكان تقديري للأعداد يقترب بالفعل من نصف المليون أكثر قليلاً أو أقل قليلاً، فلم يعد متاحاً لأحد أن يسير، تساقط البعض في إغماءات بسبب السن والزحام والشمس، بهتاف واحد رجّ أرجاء الميدان، هتف المتظاهرون "الجيش والشعب إيد واحدة"، حيث اعتقد المتظاهرون أن ضباط الجيش يبدلون زيهم العسكري لينضموا إلى المتظاهرين، عندما صعد ضباط وعساكر الجيش على مدرعاتهم ليغيروا زيهم "البيج الفاتح" بآخر لونه داكن، وأعلنت عناصر الجيش المرابطة في الميدان أن زيهم الجديد هو زي قوات الصاعقة وأن من يرتدى غير هذا الزى يعتبر من العناصر المدسوسة عليهم.

وخيم الحرص على عدم وجود عناصر مدسوسة بين المتظاهرين على المظاهرة المليونية، وجاب بعض أفراد القوات المسلحة أرجاء الميدان ليحذروا من عناصر التخريب، ووزعت منشورات تحذر منها، كما مُنع المتظاهرون من صعود العمارات في المنطقة لتأمين سكانها، ومنع تسلل هذه العناصر إلى العمارات الشاهقة.

ومع انتصاف النهار وأذان العصر، ساد الميدان صمت رهيب، قطعه أصوات المصلين في صلاة جماعة كبيرة، ليردد المتظاهرون بعد الصلاة أغنية "قول يا عم.. قول بجد.. هي عيشة ولاموتة ولافوتة في حارة سد"، وهو ما تزامن مع ظهور عدد من الفنانين بين المتظاهرين، منهم خالد النبوي، الذي صعد أحد أسوار الميدان، وأخذ يهتف "مش هنمشي .. هو يمشي".

بين المتظاهرين جلس ماسح للأحذية بعدته كاملة، يعرض على المتظاهرين أن يمسح لهم أحذيتهم مقابل "اللي يجيبوه"، ورغم الزحام وارتداء أغلب المتظاهرين الأحذية الرياضية استجاب له البعض، وراح يؤدي عمله في همة ونشاط، بل واستجاب لمطالب بعض المتظاهرين وأعطاهم الورنيش ليكتبوا به لافتاتهم ويردد معهم الهتاف بسقوط مبارك ونظامه، فلم يكن يملك هذا الرجل شيئًا في يوم ليبكي عليه الآن. شاهدت شابًا يرفع شعارًا مختلفًا، حمله مبتسمًا "ارحل بقى إيدي وجعتني"، وعلى مقربة منه ارتفعت

لافتات قال أصحابها فيها "ارحل بقى تعبت من الوقفة" و"ارحل بقى نفسي أروح وأنام".

ومع تقدم ساعات النهار بدأ الإرهاق ينال مني حتى عدت إلى المنزل أصف كل شيء شاهدته لمن أقابله، وهو الوقت الذي أدركت فيه بالفعل أن مصر تعيش ثورة كبرى.

في السابعة تقريبًا ذهبت إلى الميدان مرة أخرى، كان دخولي من شارع التحرير حيث وجدت طابورًا كبيرًا على محل "كشري التحرير"، ووجدت بعض الشباب ترص علب الكشري على سيارة منادية "سخن ومولع بتلاتة جنيه"، وجدت رجالاً وسيدات هم في الأصل بائعون ربما يكونون متجولين على الجانبين يبيعون أعلام مصر "الصغير بخمسة جنيهات والكبير بعشرة" آخرون يبيعون سندويتشات "الجبن الرومي والبيض" وآخرون بعلب المياه الغازية، إضافة إلى عربات الفيشار. اللافت للنظر أن الجميع كان يرضي بمكسب أعتقد أنه أقل من المعتاد.

تركزت الأحاديث بين الشباب قبل دخول الميدان؛ وبالتحديد في الطابور المؤدي لمدخل شارع التحرير؛ على حث رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوجان النظام المصري على "الاستجابة بدون تردد لرغبة التغيير" لدى شعبه، وقال أردوجان في خطاب أمام نواب حزب العدالة والتنمية الذي ينتمي إليه؛ وهو ذو مرجعية إسلامية، خلال اجتماع في البرلمان "اصغ إلى صرخات الشعب

ومطالبهم.. يجب تلبية إرادة التغيير الصادرة عن الشعب من دون أي تردد"، وبعدما أكد أنه يريد تقديم نصيحة صادقة إلى مبارك، دعا أردوجان إلى اتخاذ الإجراءات اللازمة لضمان السلام والأمن والاستقرار في مصر.

أما العاهل الأردني الملك عبد الله الثاني فأقال حكومة سمير الرفاعي الذي تولاها منذ ديسمبر ٢٠٠٩، وكلف معروف البخيت بتشكيل حكومة جديدة، وشدد على ضرورة استكمال مسيرة البناء التي تفتح آفاق الإنجاز واسعة أمام كل أبناء الشعب.. وقتها كتب شباب على لافتات في مدخل الميدان "يعنى إيه كوك زيرو .. يعني الشعب المصري يقوم بثورة وملك الأردن يقيل الحكومة".

دخلت الميدان استطعت بنظرة تأملية غير عاطفية أن أحدد القوة التي تسيطر على أجزاء بعينها من الميدان، فللإخوان المسلمين إذاعتان: الأولى أمام شاشة العرض الكبرى التي نصبت بجانب "مطعم هارديز" وكانت تذيع مشاهد من قناة الجزيرة ويقف عليها مجموعة من الشباب يتبادلون الكلمات، والثانية أمام "مطعم كنتاكي" لا تختلف كثيرًا عن الأولى سوى أنها مقصد بعض الفنانين والنشطاء. القوة أو المجموعة الثانية هي قوة الشباب ويتركزون أمام مبنى مجمع التحرير ومدخل الميدان عند كوبري قصر النيل، وفيها أقيم حفل غنائي أحياه مجموعة من الشباب بآلات الجيتار والعود. أما القوة الثالثة هي قلب الميدان بالقرب من المتحف

المصري وميدان عبد المنعم رياض وهي قوى "كوكتيل" من كل هؤلاء.

لا أعلم ما الذي حدث فبالتأكيد تحول سروري وفرحي الشديد في الصباح إلى تأمل وترقب في المساء، وعند تجولي في الميدان كنت أنتظر مشاهدة الأراجوز مثلاً أو ساحر يقدم فقراته، صديقي المقرب أطلق على هذه الاحتفالية التي شاهدناها ليلاً "مولد سيدي الثورة"، قطعًا كان الليل غير النهار.

توجهت من ميدان التحرير إلى منطقة السيدة زينب حيث كان ينتظرني بعض أصدقائي على مقهى هناك، شاهدت حركة مريبة في الشوارع وتجمعات بالقرب من مديرية أمن القاهرة وبالتحديد أمام مقر الحزب الوطني المحترق، شاهدت بعض اللافتات المؤيدة للرئيس مبارك في يد شباب كانوا يسيرون خلف مرشح الحزب الوطني عن دائرة الدرب الأحمر أحمد شيحة أثناء الانتخابات البرلمانية الأخيرة، وجوههم بالطبع معروفة جدًا، كانوا على ما يبدو مستعدين للخروج في تظاهرة مؤيدة للرئيس بعد خطابه الذي كنت أنتظره، وحينما وصلت إلى أحد المقاهي بالمنطقة كان الأمر طبيعيًا جدًا وكنا نستمع لرواية رجل عن عملية سلب محل للخمور بالسيدة زينب وكيف أن البعض كان يخرج بصناديق البيرة والخمر وقرص الجبن الرومي.

شاهدت خطاب الرئيس مبارك الذي بدأ مع اقتراب منتصف ليل الأربعاء في المقهى، ووشوشت صديقًا لي وقلت له إن المظاهرات ستجوب اليوم شوارع القاهرة أما غدًا فالأمر يبدو لي كارثيًا، قلت له هذا ومبارك مازال يلقي خطابه، بدأت علامات الارتباك تزحف على الوجوه، وجوه أصدقائي وبعض الذين كانوا يستمعون ويشاهدون الخطاب..

ما أن انتهى مبارك من إلقاء خطابه والذي أعلن فيه نيته بعدم ترشيحه لولاية أخرى وتعديل مادتي الدستور ٧٦ و٧٧، والتحقيق مع المتسببين في الانفلات الأمني صفق البعض وهلل البعض الآخر وكان أغلبهم من كبار السن، أما الشباب فانقسموا لمؤيدين ومعارضين، كانت وجهة نظر المعارضين أن الرجل لم يأت بجديد وأن خطابه مجرد وعود، وأن تلك الوعود كنا نسمعها طوال الثلاثين عامًا الماضية، وأن النية تبدو مبيتة لتمثيلية جديدة يكون بطلها الرئيس مبارك وأبطالها الثانويون هم أعضاء الحزب الوطني الذين سيسيرون مسيرات التأييد والدعم لهذه الفترة وربما لفترات قادمة. أما وجهة نظر المؤيدين فكانت تؤكد أن الرجل وعد، وعلى من يعتصمون في ميدان التحرير العودة مرة أخرى لترك الرجل يعمل وأن يعودوا إلى أعمالهم وأن تعود الحياة إلى طبيعتها لأن الضرر كبير.

أقل من خمس دقائق على انتهاء خطاب الرئيس رأيت الحشود تسير وتخرج من كل مكان في منطقتي السيدة زينب والدرب الأحمر مع أن الساعة حوالي الثانية عشرة.

آثرت العودة إلى منزلي وسط شكوك داخلية أن الأربعاء سيشهد كوارث حقيقية.

▪ (الأربعاء) ٢ فبراير ٢٠١١

بالطبع حركة الناس غير عادية، مسيرات التأييد في كل مكان من الصباح مع الدعوة لمسيرة مؤيدة لمبارك؛ أو بالأحرى لاستقرار الأوضاع؛ تنطلق من ميدان مصطفي محمود بالمهندسين، كانت التاسعة صباحًا تقريبًا عند دخولي لميدان التحرير، ارتسم القلق على وجوه البعض أما البعض الآخر بدا أكثر إصرارًا على الوجود في الميدان، قابلت صديقي الصحفي والكاتب خالد كساب الذي كان لتوه مستيقظًا من النوم، تجولنا في الميدان قليلاً كان يتحدث بلهجة تفاؤل عهدتها فيه كثيرًا، قلت له مخاوفي مما شاهدته خارج الميدان ومن توقعاتي بيوم دموي مما شاهدته في المساء والصباح فقال لي "لوعرفوا يجمعوا ٢٥٠ نفر يبقوا شطار".

تركني خالد ذاهبًا إلى بيته، وصلتني معلومات تفيد بأن المسيرات المؤيدة لمبارك تتجه إلى ميدان التحرير، وبعد ساعة من التجول والحديث مع البعض توجهت إلى مدخل الميدان بالقرب من كوبري قصر النيل، شاهدت مجموعة ترفع لافتات التأييد لمبارك ولكن قوات الجيش والشباب يمنعوهم من الدخول، ومن يدخل كان يُلاقى بمنتهى الحزم، حذرت الكثير من شباب المعتصمين ألا ينجرفوا وراء مواجهات فهذا ما يريده هؤلاء، البعض كان يسمع والبعض الآخر لم يعبأ بكلامي. دخل أحد المؤيدين إلى الميدان ورفع لافتة مكتوب

عليها "نعم لمبارك رئيسًا مدي الحياة" هرول إليه البعض وكنت منهم لأمنع الاحتكاكات ولكني لم أفلح، شعرت أن الأمر سيخرج عن السيطرة، فتوجهت إلى أحد ضباط الجيش وقلت له:

- أنا: أبوس إيدك يا فندم هتحصل كارثة

- ضابط الجيش: هم بيعبروا عن رأيهم زيكم بالضبط

- أنا: هتحصل مجزرة.. أبوس إيدك ماتدخلهمش

- ضابط الجيش: لو مدخلتهمش .. مش هدخل حد خالص

بدا الضابط منفعلاً واتجه فعلاً إلى الحاجز ليغلقه، حينها رأيت الأستاذ محمد عبد القدوس قادمًا صوبنا ودار حديث بينه وبين الضابط وسط انشغالي بمحاولات منع كوارث حقيقية.

الساعة الحادية عشرة ولابد من الذهاب إلى الجريدة، خفت خوفًا حقيقيًا، توجهت إلى كل مداخل الميدان كي أخرج والمشاهد تقريبًا واحدة، محاولات للدخول من جانب المؤيدين لمبارك ومحاولات مستميتة من الشباب المعتصمين لمنع دخولهم، لكني في النهاية خرجت من مدخل شارع محمد محمود متوجهًا إلى الجريدة.

لم أمكث في الجريدة كثيرًا ربما ساعتين أو ساعتين ونصف الساعة توجهت بعدها إلى ميدان التحرير، ربما في هذا الوقت تأكدت من أن الكارثة ستحدث، شاهدت المسيرات تجوب الشوارع؛ وبالتحديد منطقة بولاق أبو العلا وشاهدت سيارة نصف نقل هي بالطبع مأجورة وفي السيارة زجاجات فارغة لصنع قنابل "المولوتوف"

الشهيرة والتي تصنع بمادة قابلة للاشتعال كالبنزين أو السولار وقطعة من القماش.

شاهدت مكتب قناة العربية وهو يتعرض لمحاولة اقتحام، إلا أن الأمن الخاص وموظفي المكتب نجحوا في التصدي للمقتحمين، بعد إتلافهم الزجاج الخارجي وتكسيرهم البوابة الرئيسية للعقار الكائن به مقر القناة، وتعرض أحمد بجاتو مراسل القناة للضرب بالشوم على رأسه، مما استدعى نقله إلى مستشفى المعلمين بالجزيرة، كما تعرضت الزميلة إنجي القاضي لمضايقات من بعض المتظاهرين.

دخلت الميدان بعد ساعة ونصف الساعة تقريبًا من مدخل شارع قصر النيل، رأيت المواجهات والصدامات بين المعتصمين في ميدان التحرير وبين البلطجية -وأعتذر عن هذا التوصيف الذي يحمل وجهة نظري ولكن ما شاهدته هذا اليوم جعلني انقلب على الجميع-. تلقيت اتصالاً من صديقة تخبرني أنها ذاهبة إلى تظاهرة مصطفي محمود، لم أستطع تصديق ما تفعله خصوصًا أنها كانت من المؤيدين للمعتصمين في ميدان التحرير، لم أستطع النطق فيبدو أن خطاب الرئيس مبارك الأخير أحدث انقسامًا في صفوف المعتصمين أو المؤيدين لهم وهذا ما شعرت به يومها.

اكتملت أركان الجريمة التي يرتكبها بعض أفراد النظام بدخول البغال والخيول والنوق إلى أرض ميدان التحرير الذي؛ وللحق؛ انقسم إلى قسمين، الأول يحاول الدفاع عن أرض التحرير ويقدروا

بالمئات، والقسم الأكبر عددًا وهو الذي مازال معتصمًا في قلب الميدان.

وفي السادسة مساء سمعت دوي طلقات في محيط الميدان شعرت وقتها أن الأمر أصبح خطيرًا، وأن أخبار الإصابات في الوجه والرأس أصبحت كثيرة وأن القناصة منتشرون على أسطح المنازل المحيطة، ولكن الاقتراب من مدخل عبد المنعم رياض كان أشبه بمغامرة غير محسوبة العواقب، لذلك قررت الخروج خوفًا على حياتي.

الغريب أن الأعداد كانت في تزايد كبير في الميدان، وحتى في طريقي للعودة إلى منزلي كانت جموع المنضمين إلى المعتصمين في ميدان التحرير غفيرة وهو ما كان يشعرني أن المواجهات ربما ستكون أعنف.

سمعت دعوة عدة شخصيات عامة إلى المؤسسة العسكرية إلى ضمان أمن وسلامة شباب مصر المتجمع للتظاهر السلمي في ميدان التحرير وغيره من شوارع وميادين المدن المصرية، وأكد البيان الذي وقعه خصوصاً رجل الأعمال نجيب ساويرس وسفير مصر السابق لدى الأمم المتحدة نبيل العربي والكاتب سلامة أحمد سلامة أن "العنف الذي تشهده بعض شوارع مصر الآن لن يؤدى إلا إلى المزيد من الاحتقان السياسي وانسداد أي أفق لانفراج الأزمة الراهنة". كما وقع البيان الناشر إبراهيم المعلم والوزير السابق

أحمد كمال أبوالمجد، وعدد من الباحثين من بينهم عمرو حمزاوى وعمرو الشوبكى وجميل مطر، كما عقدت مجموعة من القيادات اليسارية في مصر اجتماعاً بمقر حزب التجمع قررت فيه تشكيل سكرتارية تنظم وتدعم انتفاضة الشباب المصري وتساهم في الحفاظ على مكاسبها والتصدي لمحاولات الالتفاف على هذه المطالب والتأكيد على المعتصمين في التحرير أن يواصلوا تواجدهم حتى الجمعة المقبلة التي أطلقوا عليها "جمعة الرحيل".

واتهم المحتجون على نظام مبارك الحكومة ونوابًا ينتمون للحزب الوطني، بترتيب المظاهرات المؤيدة وإجبار الموظفين في الشركات الحكومية على التظاهر لتأييد الرئيس، كما اتهموا قوات من الشرطة بالاندساس وسط المتظاهرين المؤيدين لقيادتهم والاعتداء على المحتجين، وقالوا إنهم ألقوا القبض على عدد من أفراد الشرطة في المواجهات وتم تسليمهم للقوات المسلحة، فيما نفت وزارة الداخلية ذلك، وقالت إن الكارنيهات التي تم ضبطها منسوبة للشرطة مزورة.

كانت الحرب على الإنترنت وخصوصًا على موقع الفيس بوك عنيفة جدًا، رسائل من أصدقاء أعرفهم وآخرين لا أعرفهم منهم من يؤيد ومنهم من يعارض بعنف وسب وآخرين كانوا يرسلون رسائل تهديد ووعيد، عرفت أن الأمر لا يختص بي وحدي فكثير من الصحفيين والنشطاء والمثقفين المشاركين أو المؤيدين لثورة الشباب وصلت إليهم نفس الرسائل تقريبًا، ومنهم الإعلامية بثينة كامل.

كانت الأخبار تشير إلى إن ٥٠٠ مصاب على الأقل نقلوا إلى مستوصف ميداني بالقرب من ميدان التحرير، علما بأن أعدادًا أخرى من المصابين كانوا نقلوا إلى عدة مستشفيات، إضافة إلى عدد من الشهداء.

وصلتني أخبار من الميدان متضاربة، فأحدهم قال لي إن الأمر هادئ إلا من بعض المواجهات هنا وهناك، في حين قال لي آخر إن الأمر كارثي بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ وأقسم لي صديقي أنه رأى بعينه رجال فوق أسطح منزل مكون من ثلاثة أو أربعة أدوار يحملون أسلحة نارية، وقال لي أيضًا إن بعض أفراد جماعة الإخوان المسلمين هم من يشكلوا خط الدفاع الأمامي للمحتجين وأن أفراد القوات المسلحة الموجودين في ميدان عبد المنعم رياض لا يستطيعوا فعل شيء فالمواجهات مشتعلة.

ظل هذا الحال تقريبًا لساعات الفجر الأولى، أجلس أمام القنوات الفضائية العربية وأمام شاشة الكمبيوتر أتابع ما يحدث من حرب تبدو أهلية ولا نظام موجود في مصر.

(الخميس) ٣ فبراير ٢٠١١

لم أستطع النوم إلا ساعات قليلة، استيقظت في الثامنة صباحًا على لقاء خارجي مع المستشار مرتضى منصور وهو يسير في جموع المتظاهرين بميدان مصطفي محمود ويقول بكل هدوء وتواضع وثقة يحسد عليها: "بقول للولاد اللي في التحرير روحوا بيوتكم علشان مخليش دول يروحوكوا" وأشار إلى جمع حوله..

وقتها شعرت أن الرئيس مبارك لا وجود له، ولا وجود لأي شخص يحكم، شعرت أن مصر تدار ببركة دعاء الوالدين، شعرت أنها مباراة ملاكمة ستنتهي بالضربة القاضية أو بالنقاط إذا استمر العناد بين الجانبين.

كما أعلن عمر سليمان نائب رئيس الجمهورية السابق في تصريحاته صباحًا أن مبارك لن يترشح للانتخابات الرئاسية المقبلة لا هو ولا نجله جمال، ودعا إلى الإفراج الفوري عن الشباب المعتقلين، مشيرًا إلى أنه ستتم محاسبة المسؤولين عن أحداث ميدان التحرير والانفلات الأمني، وتعديل المادتين ٧٦ و٧٧ من الدستور ومواد أخرى، وإجراء تعديلات لضمان تداول السلطة في مصر.

لم أكن أستطيع التحمل فأخذت طريقي إلى ميدان رمسيس، وأمام قسم شرطة عابدين أوقفتني لجنة شعبية؛ لكنها لم تكن كذلك؛ فكانت لجنة بلطجية، ودار الحديث التالي بيني وبين شاب لم يتعد العشرين أو ربما أكثر قليلاً يحمل سيفًا كبيرًا.

- البلطجي : بطاقتك

- أنا: اتفضل

أعطيت له بطاقة هويتي نظر إليها نظرة بلهاء تنم على أنه لا يعرف القراءة والكتابة واكتفى بأن نظر إلى الصورة.

- البلطجي : رايح فين؟

- أنا : رمسيس

- البلطجي : ليه؟

- أنا : شغلي هناك

- البلطجي : بتشتغل إيه؟

- أنا : صحفي

- البلطجي : آآآه

قالها وكأنه وجد غنيمة، طرق بسيفه مقدمة التاكسي

- البلطجي: طب انزل لي ووريني الكارت بتاع الصحافة (قطعًا هو يقصد "الكارنيه" لكنه نطقها "كارت").

أخرجت له "كارنيه" اشتراكي في ساقية الصاوي الذي لا يحمل أي مهنة، قصدت إخراج هذا "الكارنيه" لشيء في نفسي..

نظر البلطجي نفس النظرة البلهاء وقال :

- البلطجي : م الآخر رايح التحرير؟

- أنا : يا راجل تحرير إيه .. أنا صحفي فن ومماليش دعوة ببتوع التحرير دول خالص

- البلطجي : كده أنت أصلي وكفاءة واحترام.

نعم مارست "التقية" خوفًا على حياتي، كما أنني أثبتت لنفسي أن هؤلاء البلطجية لن يمنعوا أحدًا من التواجد في ميدان التحرير لأنهم بالتأكيد جهلاء.

في الثالثة عصرًا مررت من ميدان عبد المنعم رياض رأيت البلطجية يتمترسون فوق كوبري أكتوبر ويقذفون بالحجارة وقنابل المولوتوف وكان البعض الآخر يقف أعلي أسطح المنازل المجاورة للميدان، وأصبح الحال عبارة عن عمليات كر وفر بين الجانبين.

سرت كثيرًا على قدمي في منطقة "وسط البلد"، والكل في حالة دهشة لما يحدث في ميدان التحرير الذي توجهت إليه في حوالي السابعة مساء وبقي الأمر كما هو عليه، وأثناء تجولي في المنطقة الآمنة من الميدان وهي بالقرب من مجمع التحرير، وجدت مجموعة من أصدقائي، تناقشنا في المعلومات التي وردت عن أن حبيب العادلي وزير الداخلية في حكومة مبارك و٣ من القيادات الأمنية، تم وضعهم تحت الحراسة الجبرية في منازلهم، كما ترددت

أنباء عن اعتقال عدد آخر من القيادات ووضعهم في السجن الحربي، بسبب الأحداث الأخيرة التي شهدتها البلاد من انفلات أمنى، وسحب رجال الشرطة من جميع المواقع، إضافة إلى تحقيقات أخرى حول أحداث ميدان التحرير طوال يوم الأربعاء واليوم.

كما انتشرت شائعات عن فحص آخر الاتصالات التي أجراها وزير الداخلية السابق بقياداته في المحافظات من هاتفه المحمول وأجهزة اللاسلكي، لمعرفة أسباب قطع شفرة الشرطة وانسحاب القوات الأمنية في جميع القطاعات خلال ساعة واحدة، كما تجري جهة سيادية تحقيقات مع بعض قيادات أقسام الشرطة.

حدث تجمهر كبير فجأة وقيل إن المعتصمين قبضوا على أحد أفراد الشرطة المندسين، ذهبنا إلى هناك وفى طريق الثوار لتسليم هذا الشخص إلى الجيش، كان يردد كلمات لم أسمعها نتيجة لاستجوابه (على السريع).

قال أحد الموجودين أن عددًا من أفراد الشرطة المقبوض عليهم إنهم تلقوا تعليمات بالخروج في مظاهرات تأييد لمبارك، وذكر عدد من المواطنين المقبوض عليهم ليلة الأربعاء أن نوابًا في الحزب الوطني دفعوا لهم مبالغ مالية تتراوح بين ١٠٠ و٢٠٠ جنيه للتظاهر.

▪ (الجمعة) ٤ فبراير ٢٠١١

كان يومًا غير عادي، تمت تسميتها بـ"جمعة الرحيل"، بدأت الصحف القومية والبرامج التليفزيونية على التليفزيون المصري تؤكد أن البلطجية الذين قتلوا وهاجموا المتظاهرين في ميدان التحرير هم من المأجورين، وأن التحقيقات سيتم فتحها لمعرفة من وراءهم، بالفعل قلَّ عدد البلطجية في الشوارع صباح هذا اليوم، واخترقت الجموع كل الحواجز الأمنية في طريقها إلى ميدان التحرير لأداء صلاة الجمعة هناك. وقف الشيخ جمال قطب وخطب في الناس، وما إن انتهى حتى صرخ الجميع "باطل .. حسني مبارك: باطل .. الحزب الوطني: باطل .. السفاحين: باطل .. المرتشين: باطل .. حبيب العادلي: باطل ... إلخ"، كان المشهد جللاً وصادقًا..

وبعد صلاة الجمعة بوقت قليل تبادر إلى أسماعنا أن السيد عمرو موسى أمين عام جامعة الدول العربية يستعد لدخول ميدان التحرير، وتواردت أنباء في الداخل أنه كان يشد من أزر المعتصمين المتوجهين إلى الميدان وكان يشير لهم بعلامات النصر.

كان يومًا صعبًا، هي المليونية الثانية، كان مجرد الانتقال من مكان إلى مكان داخل الميدان ضرب من الخيال، تقديري للعدد هو المليون فعلاً.

منتصف النهار سمعنا البعض يهاجم الجمهورية الإسلامية الإيرانية لم أكن أدري لماذا هذا السخط والهجوم خصوصًا أن أجهزة المحمول لم تكن تعمل بكفاءة هذا اليوم لأجري أي اتصالات للتواصل مع ما يحدث خارج الميدان، واعتقد أن السبب في ذلك هو هذا العدد الكبير من الناس الذي ظل في التزايد حتى ساعات النهار الأخيرة، أعود لاكتشف أن سبب سخط بعض الناس على إيران هو خطبة الجمعة التي ألقاها آية الله الأعلى للجمهورية الإسلامية على خامنئي باللغة العربية والتي ذكر فيها أن المصريين استلهموا مبادئ الثورة الإسلامية وأن كل الثورات الشعبية التي يقوم بها العرب في منطقة الشرق الأوسط هي صحوة إسلامية، كان هناك إصرار غريب عند الجموع أن الثورة هي ثورتهم دون استلهام أو تأثر، وأن الثورة لا ترفع أي شعارات دينية، لذلك صاح كثير من المتجمهرين في الميدان "مدنية.. سلمية".

كانت السادسة مساء تقريبًا، جاءني اتصال من الإسكندرية يؤكد أن المشهد هناك مهيب جدًا وخصوصًا عند مسجد القائد إبراهيم بمنطقة سيدي جابر، وأن أعداد المتظاهرين هناك تقترب من المليون، وأن ما يحدث بالإسكندرية يحدث في أماكن عدة في أنحاء جمهورية مصر العربية. كما وردتني أنباء أن حزب الوفد قبل الحوار مع نائب الرئيس عمر سليمان وأن حزب التجمع متردد بينما الإخوان المسلمين يرفضون.. حينها لم أستطع معرفة رأي

محدد للجموع في التحرير ففي المكان الواحد تسمع أكثر من رأي كان البعض يرى أنه لا تفاوض بعد رحيل النظام، بينما كان البعض الآخر يؤكد ضرورة الحوار كي نعرف ماذا ينوي النظام فعله الفترة القادمة مع دعوات البعض أن النظام يستجيب لبعض المطالب وأنه سيستجيب للبقية مع الضغط الحادث من ميدان التحرير.

شاهدت في هذا اليوم مجموعة كبيرة من الفنانين والمشاهير منهم الملحن الكبير عمار الشريعي وعمرو واكد وخالد النبوي وعزة بلبع التي غنت أغاني الشيخ إمام وأحمد فؤاد نجم، شاهدت أيضًا لاعب الكرة السابق نادر السيد والمفكر محمد سليم العوا عضو إحدى لجان الحكماء التي سمعنا عنها والتي سمعنا أيضًا أن أعضاءها يجوبون الميدان هذا اليوم ومنهم رجل الأعمال نجيب ساويرس.

في السابعة كان الميدان كله يهلل ويكبر بسبب خبر أذاعه شاب كان يمسك ميكروفونًا وهو القبض على مجموعة من مساعدي وزير الداخلية السابق حبيب العادلي ونبأ عن التحقيق مع الوزير رشيد محمد رشيد وتجميد أرصدته ومنعه من السفر، وهي الأخبار التي نفتها وزارة الداخلية لاحقًا، بينما صرح رشيد لقناة العربية أنه متواجد في الإمارات وأنه عرف بقرار التحقيق من الإعلام فقط.

▪ (السبت) ٥ فبراير ٢٠١١

استيقظت صباحًا على خبر أذاعته القنوات الإخبارية نقلاً عن التليفزيون المصري يفيد بأن عمر سليمان تعرض لمحاولة اغتيال فاشلة قُتل على إثرها اثنان من حرسه الشخصي، إضافة إلى أنباء عن تفجير في الخط الذي يمد إسرائيل بالغاز الطبيعي، ثم سرعان ما تم تعديله أنه الخط الذي يمد الأردن، لم أفهم خصوصًا أن الوقت كان قصيرًا كي أجلس أمام التليفزيون.

في طريقي لميدان التحرير وجدت زحامًا شديدًا أمام محافظة القاهرة وعندما سألت أحدهم قال لي إن المحافظة تعطي منازل بأسعار زهيدة جدًا، وعندما حاولت أن استفسر عن الشروط أو الاستمارة قال لي مفيش شروط، الاستمارة تباع في الشباك ده.. وأشار لي إلى مكان لم يبدو لي شباكًا من كثرة الناس أمامه. أدركت في الحال أنها حيلة لإخراج الناس من حالة الثورة لحالة الرحلة للحصول على شقة، لم أكن أدري كيف تفكر الحكومة، هل مازالت تفكر في هذه الطرق التقليدية القديمة لإلهاء الناس؟، ربما أصبح الشعب أكثر وعيًا؛ بل ربما فقط هي النخب الأكثر وعيًا.

كان تواجد الشرطة مكثفًا نسبيًا في الشوارع، رأيت بعيني حزنًا وخجلاً في وجوه بعض ضباط الشرطة المتواجدين، في هذه اللحظة توجهت بالحديث إلى أكثر من ضابط عما حدث في يوم الجمعة

٢٠١١/١/٢٨، قال لي البعض إنه لم يتلق أوامر بالانسحاب من الشارع، بينما ذكر لي آخرون أن الأوامر جاءت صريحة بالانسحاب لأن كل الأقسام حرقها المتظاهرون، حتى أن بعضهم قال لي "أنا قلعت البدلة الميري ولبست مدني وروحت على بيتنا".

أما في ميدان التحرير فالأمر كما هو، مع دعوات كثيرة للمظاهرة المليونية الثالثة يوم الأحد.

▪ (الأحد) ٦ فبراير ٢٠١١

اتجهت إلى ميدان التحرير في الرابعة والنصف تقريبًا، في مدخل كوبري قصر النيل، وقفت في طابور طويل احترامًا للنظام الذي وجدته هذا اليوم، كان أحدهم يقول للذين يحاولون التحايل لعدم الوقوف في الطابور "يا إخواننا إحنا عاوزين نسقط النظام علشان يبقي فيه نظام"، الجميع بدا متعاونًا، من يفحص بطاقة الهوية يركز على المهنة، ومن يقوم بالتفتيش يبتسم ويعتذر.

في الداخل كانت صور الشهداء والضحايا تملأ الميدان، أعتقد أن إصرار المعتصمين قد تضاعف مع وجود تلك الصور، أصبحت أشاهد أطفالاً تزين وجوههما بألوان علم مصر، أدركت أن الأمر أصبح كرنفالاً حقيقيًا.

تعالت الصيحات في السابعة تقريبًا مع أنباء إقالة جمال مبارك وصفوت الشريف من هيئة مكتب الحزب الوطني وتعيين حسام بدراوي مكانهما.

ثم تعالت الصيحات أكثر وأكثر مع نبأ استقالة الرئيس حسني مبارك من منصبه كرئيس للحزب الوطني؛ وهو الخبر الذي نفاه وزير الإعلام السابق أنس الفقي لاحقًا.

شاهدت هذا اليوم زحامًا شديدًا حول الإعلامي حمدي قنديل وزوجته النجمة نجلاء فتحي، أما اللاعب نادر السيد فكان يقود بعض التظاهرات بنفسه. وفي الليل كانت الأنباء عن قرب إطلاق سراح وائل غنيم صاحب صفحة "كلنا خالد سعيد" على موقع الفيس بوك.

(الاثنين) ٧ فبراير ٢٠١١

توجهت في ظهيرة هذا اليوم إلى نقابة الصحفيين حيث الدعوات لتأبين شهيد الصحافة أحمد محمد محمود زميلنا في دار التعاون سابقًا والتي تم دمجها لمؤسسة الأهرام، بدا الأمر في البداية عاديًا لكنه انقلب بعد أقل من ساعة إلى مظاهرة ضد نقيب الصحفيين مكرم محمد أحمد لموقفه من ثورة الشباب، حتى أن الرجل أراد المشاركة في التأبين فمنعه الصحفيون وبعض المؤيدين لهم، وتبادر إلى مسمعي أنباء عن اعتداء بالأيدي على النقيب.

قلت ساعات حظر التجوال ليبدأ من الساعة الثامنة مساءً وينتهي في السادسة صباحًا، وميدان التحرير مازال على حاله، كانت الصيحات تتعالي أحيانًا مع أنباء الإفراج عن وائل غنيم، كما كانت الاحتجاجات تتواصل مع الأنباء التي تواردت عن اكتشاف بعض الموجودين أمام محافظة القاهرة أن موضوع الشقق غير حقيقي وأن الاستمارات يتم تمزيقها داخل مبنى المحافظة.

حصلت في هذا اليوم على الاستمارة التي كانت توزع أمام المحافظة مقابل خمسة جنيهات وكان نصها " السيد الوزير/ محافظ القاهرة تحية طيبة، بعد الأحداث الأخيرة التي شملت جمهورية مصر العربية قام بعض أصحاب المنازل بطرد من يقومون باستئجار

الشقق قانون جديد وأصبحوا لا مأوى لهم غير الله، ونرجو من سيادتكم الرعاية والعطف ولسيادتكم جزيل الشكر والتحية".

الحرب على الإنترنت خفت حدتها إلا من البعض الذين حاولوا إفساد صورة الشباب المعتصم في التحرير على أن من بينهم ساقطي الأخلاق وشواذ وهو أسلوب اعتاده البعض لتشويه الصورة التي ظهر عليها الشباب، وردد البعض في الميدان أن ساقطي الأخلاق والمنتفعين والمرتشين والفاسدين هم من يروجون تلك الشائعات.

▪ (الثلاثاء) ٨ فبراير ٢٠١١

في طريقي إلى ميدان التحرير مكثت أكثر من ساعة أمام محافظة القاهرة لأشهد ثورة الآلاف على مبنى المحافظة ومحاولة الكثير اقتحام المبنى الذي كان يحميه بعض أفراد الجيش، كانت الهتافات لاذعة للرئيس مبارك ولحكومته، أدركت أن ميدان التحرير سيشهد انضمام ثوار آخرين؛ وهو ما حدث بالفعل، فاليوم كان يوم المليونية الرابعة واعتقد أن الأعداد ازدادت على المليون، وكانت كل الطرق المؤدية لميدان التحرير مغلقة تمامًا بالمتظاهرين.

شاهدت في الميدان الأراجوز الذي كنت أنتظره، لتكتمل أركان الفرجة الشعبية، شاهدت خيمة كتب عليها ساكنوها "فيللا الثورة"، شاهدت شبابًا يمسكون بعدة حلاقة الشعر، وتواردت أنباء عن اعتصامات في كل مكان خارج الميدان، الجميع يتظاهرون؛ ليس لإسقاط النظام؛ ولكن إحساس بأن الصوت الذي يسمعه سكان المحروسة من ميدان التحرير أصبح عاليًا، ناهيك عن استجابة السلطة لبعض المطالب، الكل أيقن أن في مقدوره التغيير والتعديل.

جاء وائل غنيم إلى ميدان التحرير، دخل الميدان كبطل شعبي محمولاً على الأعناق، وقف على خشبة المسرح التي صنعها الثوار في الميدان وتحدث بهدوء، وشجن وصعدت إلى المسرح والدة المرحوم خالد سعيد فاحتضنت وائل في مشهد أبكى العديدين.

بدأ الناشطون من الشباب يقيمون نصبًا تذكاريًا لشهداء الثورة من الشباب، أحضروا صورًا لهم مع باقات من الورود والشموع والبخور، المشهد كان إنسانيًا جلاً.

في الليل بدأت الدعوات لإقامة اعتصام أمام مجلس الشعب، وبالفعل بدأ الزحف إلى هناك وانضم إليهم مجموعة المعتصمين أمام دار روز اليوسف المطالبين برحيل كرم جبر رئيس مجلس إدارة المؤسسة وعبد الله كمال رئيس تحرير المجلة والجريدة.

فشل تامر حسني في الدخول إلى الميدان وقام البعض بالتهجم عليه، وجاءتني أنباء عن فشل عمرو أديب وأيضًا أحمد السقا، ولم أشاهد هذا بعيني.

▪ (الأربعاء) ٩ فبراير ٢٠١١

توجهت إلى ميدان التحرير في الصباح، قابلتني فتاة قالت إنها من إذاعة صوت الثورة، وتريد لقاء معي، رفضت مع رغبة مني أن أعرف ما هي طبيعة هذه الإذاعة، لكني شعرت أنه أمر سري.

أنباء الاعتصامات كانت تأتيني من كل مكان، بدا الميدان أكثر هدوءًا واستقرارًا، شاهدت مجموعة من الشباب بدأوا في صنع دورة للمياه مع وجود مواسير وكابلات، شاهدت أيضًا مجموعة تدعو إلى إقامة معرض للكتاب يكون عوضًا عن المعرض الرسمي الذي تم تأجيله أكثر من مرة، شاهدت خيمة كتب عليها الشباب "صيدلية الثورة" وتحتوي على عقاقير للجروح ولمرضي السكر.

أتى النجم أحمد السقا إلى الميدان حوالي الرابعة عصرًا، عانى كثيرًا كي يُسمح له بالدخول، وكان يردد "أدخل اعتذر وأمشي على طول"، ومعروف أن اعتذاره للشباب كان بسبب تصريحاته التي هاجم فيها المعتصمين بميدان التحرير، دخل السقا برفقة الممثل حمدي الوزير إلى أن وصل إلى إحدى الإذاعات الموجودة في منتصف الميدان ومسك الميكروفون معتذرًا عما بدر منه من تصريحات وهتف في الجموع "تحيا مصر".

خرجت من الميدان حوالي السابعة والنصف، علمت بنبأ استقالة وزير الثقافة د. جابر عصفور وأنباء عن تولي أشرف زكي نقيب الممثلين حقيبة الوزارة، أكد لي الكثيرون من المثقفين استحالة تولي زكي وزارة الثقافة لأنه أصبح من الوجوه المكروهة في الشارع.

ذهبت إلى المنزل ولكن سرعان ما عدت مرة أخرى لميدان التحرير، فقد بدا لي الخروج من الميدان كأنه خروج من دنيا ارتضيت الحياة فيها، ولكن عودتي هذه المرة كانت برفقة أصدقاء لم يأتوا إلى الميدان من قبل، وكان الذهول هو ما ارتسم على الوجوه.

▪ (الخميس) ١٠ فبراير ٢٠١١

كان الصباح عاديًا في ميدان التحرير، لقد كانت إقامتي شبه دائمة هناك، توجهت في الحادية عشرة تقريبًا إلى الجريدة في الزمالك، ثم ما لبثت أن ذهبت إلى وقفة احتجاجية لإخواننا في جريدة المسائية على سلم نقابة الصحفيين، بعدها توجهت مع أخي إلى ميدان التحرير، برفقة عمي المخرج والسيناريست عصام الشماع الذي كان ينوي تصوير بعض اللقطات ليضمنها في فيلمه الأخير "الفاجومي".

كانت الرابعة عصرًا، تناثرت الأقاويل حول أن المجلس الأعلى للقوات المسلحة سيصدر بيانًا بعد اجتماعه المستمر، وبالفعل لم تمر نصف ساعة حتى جاء إلى الميدان قائد المنطقة المركزية حسن الروينى واعتلى أحد المسارح ليقول بالحرف الواحد "كل مطالبكم هتتحقق النهاردة" هتف الجميع وربما جميع من في الميدان "الشعب يريد إسقاط الرئيس" صمت الرجل ثم تحدث ثانية "أنا بقول كل مطالبكم هتتحقق ومش هكررها .. بس المهم نخاف على البلد .. المهم ما تخربش في مصر ونحاول نبنيها" هلل الجميع مرة أخرى "الجيش والشعب إيد واحدة" بعدها أصر الروينى أن يغني مع الناس النشيد الوطني.

أحس كل من في الميدان أن الأمنية قد اقتربت، البعض افتعل بعض السيناريوهات وكان أكثرها شيوعًا أن الجيش قام بانقلاب عسكري.
لم تنقطع الاتصالات بيني وبين كل أصدقائي، والجميع يؤكد أن الرئيس مبارك ربما يتنحى الليلة، ربما تكون الشائعات قد وصلت للجميع حتى المخابرات الأمريكية التي توقعت التنحي، إضافة إلى تصريح رئيس وزراء مصر أحمد شفيق "أن مبارك قد يتنحى الليلة" وتصريح حسام بدراوي الأمين العام للحزب الوطني "الأفضل أن يتنحى الرئيس" وغيرها من التصريحات التي كانت تؤكد على شيء واحد هو أن اليوم الخميس هو يوم إسقاط النظام.

في الخامسة تقريبًا صدر البيان العسكري الأول من المجلس الأعلى للقوات المسلحة يؤكد مشروعية مطالب الشعب وأن المجلس في حالة انعقاد دائم ومستمر.
خرجت من الميدان قليلاً وجدت أجواء احتفالية حقيقية، السيارات بدأت تعلق الأعلام، سمعت زغاريد في كل مكان في وسط البلد، مررت أمام مقهى زهرة البستان وجدت الروائي مكاوي سعيد وقد أمسك بعلمه ولوح به إلى قائلاً "مبروك"، الجميع كان في حالة سعادة، ربما لم يتوقع أحد نتيجة إلا تنحي مبارك.
في السابعة والنصف أعلن التليفزيون المصري أن الرئيس مبارك سيوجه كلمة للشعب، فازداد الحديث عن أنه ربما يكون الخطاب الأخير لمبارك، كنت في الميدان وقتها، كانت الأجواء الاحتفالية

أيضًا كبيرة وعديدة، وقفت إلى جوار مجموعة يرقصون ويغنون على أغنية الراحل محمد حمام "يا بيوت السويس" وأغنية "غني يا سمسمية"، الأغاني الوطنية ملأت ميدان التحرير بداية من "وطني حبيبي الوطن الأكبر" حتى أغنية نانسي عجرم "لو سألتك أنت مصري".

بدأ الخطاب في العاشرة والنصف تقريبًا، شعرت في البداية أنه ليس خطابًا للتنحي، في منتصف الخطاب اعترض جميع من في الميدان على لهجة مبارك المتعالية المتكبرة، اعترضت مجموعة كبيرة برفع الأحذية ولكن الجميع كان يصرخ بأعلى صوته "ارحل.. ارحل"، حتى أنني لم أستطع سماع باقي الخطاب الذي ذكر فيه تفويض سلطاته لنائبه عمر سليمان.

شاهدت بعيني شابًا يبكي بشدة ويصرخ "حرام.. والله حرام.. البلد هتخرب.. هو عايز يسيبها خربانة"، لم أستطع المكوث كثيرًا في الميدان، وأثناء خروجي كانت الدعوات للذهاب إلى القصر الرئاسي بمصر الجديدة تتزايد وكانت الصيحات "يوم الجمعة العصر.. هنهد عليه القصر"، الكل كان يذكرنا أن الجمعة هو اليوم الأخير لهذا النظام.

ما أن انتهى الرئيس حسني مبارك من إلقاء خطابه والذي اعتبر الثالث من نوعه منذ تفجر الثورة، إلا وحبس أغلب المصريين أنفاسهم من انزلاق الأمور إلى ما لا يحمد عقباه، ولعل ما ضاعف

من المخاوف في هذا الصدد أن الملايين في ميدان التحرير كانوا يستعدون للاحتفال بتنحي مبارك إلا أنهم فوجئوا بما اعتبروه استفزازًا جديدًا عبر إصراره على البقاء في منصبه حتى انتهاء ولايته وتفويض صلاحياته إلى نائبه عمر سليمان، بل وهناك من فسر الخطاب على أن النظام لم يفهم الرسالة بعد وهي أن هناك ثورة حقيقية وليست حركة احتجاجية، فالأمر لم يعد يقتصر على ميدان التحرير وإنما امتد الغضب ليشمل قطاعات عمالية ومهنية واسعة وخاصة بعد توالي التقارير التي تفضح فساد بعض المسؤولين السابقين والحاليين ونهبهم ثروات طائلة من أموال الشعب.

ورغم أن البعض يجادل بأن النظام الحاكم قام بتلبية أغلب مطالب المحتجين إلا أن الخطأ المتكرر الذي وقع فيه أن استجاباته كانت متأخرة جدًا، بل وتبعها أيضًا استفزازات ضاعفت من الشكوك تجاه نواياه كأحداث الأربعاء الدامي في ٢ فبراير.

حديث مبارك عن تفويض صلاحياته لنائبه لم يكشف عن أية مادة من الدستور تم الاستناد إليها وهل هي صلاحيات كاملة أم مجرد محاولة جديدة لتهدئة غضب المحتجين والإبقاء على النظام القائم كما هو؟، بل وهناك من ذهب إلى التأكيد أن مبارك فقد شرعيته الدستورية منذ انطلاق مظاهرات ٢٥ يناير وظهور الشرعية الثورية، وبالتالي فإنه ليس من حقه تفويض صلاحياته لنائبه

باعتبار أن فاقد الشيء لا يعطيه وأن الشعب في النهاية هو مصدر السلطات .

وبصفة عامة فإن خطاب مبارك صب فيما يبدو المزيد من الزيت على النار ولذا تسارعت الدعوات لتدخل الجيش لإنقاذ مصر قبل فوات الأوان خاصة وأن آلاف المتظاهرين توجهوا فور إلقاء مبارك خطابه إلى قصر العروبة الرئاسي في مصر الجديدة لإجباره على التنحي وهو ما يعني وقوع حمامات دم في حال حدثت أية مواجهات بين المحتجين والحرس الجمهوري .

ورغم أن الجيش التزم الحياد منذ انطلاق الثورة إلا أن الأوضاع اختلفت الآن وباتت مصر بحسب كثيرين في حاجة لتدخل المؤسسة العسكرية التي تحظى بثقة واحترام الجميع في ضوء عدة أمور من أبرزها أن هناك شرعية ثورية تحققت على أرض الواقع ولذا فإن تدخل الجيش لإنهاء الأزمة بطريقة سلمية عبر إقناع مبارك بالتنحي لن يكون أمرا مستغربًا باعتبار أن الشعب هو مصدر السلطات وهو الذي فوضه للقيام بهذا الأمر .

ولعل التقارير المتصاعدة حول قيام أمريكا بإرسال سفن حربية قبالة السواحل المصرية لتأمين الملاحة في القناة في حال تطورت الأمور بما لا يضمن مصالح أمريكا وإسرائيل تؤكد هي الأخرى أهمية تحرك الجيش على وجه السرعة لإنقاذ مصر . وكان الموقع الإخباري "تيك دبكا" المقرب من الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية

زعم في ٩ فبراير أن مصر تتجه نحو حدوث انقلاب عسكري وعليه فقد قامت الإدارة الأمريكية بوضع بوارجها الحربية قبالة سواحل محافظة الإسماعيلية، ورجح الموقع أن هذا السيناريو تعزز لتعثر الحوار بين أقطاب المعارضة ونائب الرئيس عمر سليمان وفشل النظام في إخماد الثورة واتساع دائرة الاحتجاجات الشعبية التي تطالب برحيل حسني مبارك، ونقل الموقع عن مصادر عسكرية إسرائيلية القول إن الإدارة الأمريكية قامت قبل أيام بوضع عدة بوارج من أسطولها الحربي قبالة محافظة الإسماعيلية للحفاظ على انتظام الملاحة في قناة السويس والتدخل العسكري في حال تعطلها أو التشويش عليها خصوصا أنه يمر يوميًا عبر القناة قرابة ٤٠% من التجارة العالمية ، بالإضافة إلى التدخل العسكري إذا ما اقتضت الحاجة وفي حال حدوث أي تطورات غير متوقعة داخل مصر.

خرجت من الميدان، توجهت إلى أحد مقاهي وسط البلد مع أصدقائي كي أشاهد خطاب عمر سليمان التي لم تختلف كثيرًا سوى في دعوته لجميع المحتجين أن يتركوا الميدان وأن يذهبوا إلى أعمالهم.. لاحظت أن الأجواء الاحتفالية انقلبت وأصبحت أجواء حزينة.

▪ (الجمعة) ١ فبراير ٢٠١١

تجمع عشرات الآلاف من المتظاهرين في ميدان التحرير والشوارع المؤدية له، شاهدت بعض الشباب يتحركون تجاه القصر الرئاسي، بدا الأمر جادًا، فلم يكن الشباب يمزحون، قابلت البعض منهم وأكد لي أنه على استعداد للموت في سبيل حرية هذا الشعب.

أما على المستوى الرسمي فالتليفزيون المصري أعلن أن القوات المسلحة تستعد لإصدار بيانها الثاني، وبالفعل هو ما حدث، ألقى البيان في التليفزيون من مذيعة للنشرة وهذا عكس البيان الأول الذي ألقاه اللواء "محسن الفنجري" مساعد وزير الدفاع وعضو المجلس الأعلى للقوات المسلحة، ففي البيان الثاني يؤكد الجيش دعمه للإصلاحات التي أعلنها مبارك ويدعو إلى إنهاء الحركة الاحتجاجية والعودة إلى الحياة الطبيعية.

اختلط على الجميع الأمر، وصلتنا أنباء في منتصف النهار أن مليون متظاهر بالإسكندرية يتجهون أيضًا لقصر رأس التين وهو أحد القصور الرئاسية، وهو بالطبع تحرك رمزي لإسقاط مبارك، فهو غير موجود هناك بالطبع، كما وردت أنباء عن تجمع آلاف الأشخاص أمام مبنى التلفزيون.

في منتصف النهار أعلن الأمين العام للحزب الوطني الديموقراطي حسام بدراوي استقالته بعد أيام وتعيين محمد رجب زعيم الأغلبية بمجلس الشورى بدلاً منه.
وما زالت الطائرة الهيلوكوبتر تحلق فوق الميدان، وسط أنباء عن بيان مهم من رئاسة الجمهورية.

في ساعة الغروب ظهر عمر سليمان على شاشة التليفزيون الرسمي ليعلن تخلي مبارك عن سلطته كرئيس للجمهورية وتكليفه المجلس الأعلى للقوات المسلحة بإدارة شؤون البلاد.
بالفعل كانت ساعة الغروب، لكنها بالنسبة لكل من في الميدان كانت ساعة الشروق؛ شروق شمس الحرية من جديد.

عمت الأفراح أرجاء الميدان، وهزت جنبات المباني بهتاف "الشعب خلاص أسقط النظام"، و"حللو يا حللو مبارك شعبه حله" و"دلعو يا دلعو .. مبارك شعبه خلعه"، أما الإخوان المسلمين فكانوا يرددون تكبيرات الفتح "الله أكبر كبيرا .. والحمد لله كثيرا .. وسبحان الله بكرة وأصيلا" والبعض منهم كان يهتف "الله وحده أسقط النظام".